﴿ولوالدي﴾ أبو ملك بن متوشلخ وأمه شمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين. وقيل: هما آدم وحواء. وقرأ الحسين بن علي: ولوالدي، يريد سامًا وحامًا. ﴿بيتي﴾ منزلي. وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي. خص أوّلاً من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه. ثم عمّ المؤمنين والمؤمنات ﴿تبارًا﴾ هلاكًا.

فإن قُلْتَ: ما فعل صبيانهم حين اغرقوا؟ قُلْتُ: اغرقوا معهم لا على وجه العقاب، ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق. وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمّهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون. ومنه قوله عليه السلام: «يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى»[1]. وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال: علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب. وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجنّ مكية

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾.

قرئ: أحي وأصله وحي. يقال: أوحى إليه ووحى إليه، فقلبت الواو همزةً. كما يقال: أعد وأزن. وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة، وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح وإسادة وإعاء أخيه، وقرأ ابن أبي عبلة: وحي على الأصل ﴿أنه استمع﴾ بالفتح لأنه فاعل أوحى. وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي، فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجنّ كسر. وكلهنّ من قولهم: إلا الثنتين الأخريين، وأنّ المساجد، وأنه لما قام ومن فتح كلهنّ. فعطفًا على محل الجار والمجرور في آمنا به. كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي. ﴿نفر من الجنّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل: كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجنّ عددًا، وعامة جنود إبليس منهم. ﴿فقالوا إنا سمعنا﴾ أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم، كقوله: فلما قضى: ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابًا ﴿عجبًا﴾ بديعًا مباينًا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾.

﴿يهدي إلى الرشد﴾ يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان. والضمير في ﴿به﴾ للقرآن، ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك. قالوا: ﴿ولن نشرك بربنا أحدًا﴾ أي: ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان، ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل. لأنّ قوله: بربنا يفسره.

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾.

﴿جدّ ربنا﴾ عظمته من قولك: جد فلان في عيني أي: عظم. وفي حديث عمر رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا. وروي: في أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه[3]. استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأنّ الملوك والأغنياء هم المجدودون. والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والوالد لعظمته أو سلطانه وملكوته أو لغناه. وقوله: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا﴾ بيان لذلك. وقرئ: جدًا ربنا على التمييز، وجد ربنا بالكسر. أي: صدق ربوبيته وحق آلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد. وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا عن الخطأ فيما اعتقده كفرة الجنّ من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبةً وولدًا فاستعظموه ونزهوه عنه.

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾.

سفيههم: إبليس لعنه الله أو غيره من مردة الجنّ، والشطط: مجاوزة الحدّ في الظلم وغيره، ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه. أي: يقول قولاً هو في نفسه شطط، الفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله.

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾.

وكان في ظننا أنّ أحدًا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدّقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم. ﴿كذبًا﴾ قولاً كذبًا، أي: مكذوبًا فيه، أو نصب المصدر لأنّ الكذب نوع من القول. ومن قرأ: أن لن تقوّل، وضع كذبًا موضع تقولاً ولم يجعله صفةً لأنّ التقوّل لا يكون إلا كذبًا.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾.

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (الحديث رقم: 8 ـ 2884).

(2) رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم والزيلعي 4/ 95.

(3) قال الزيلعي: غريب من حديث عمر وقد تقدم من حديث أنس. رواه أحمد 4/ 99.

الرهق: غشيان المحارم، والمعنى: أنّ الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرًا وكفرًا. وذلك أنّ الرجل من العرب كان إذا أمسى في وادٍ قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم. فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سيدنا الجن والإنس. فذلك رهقهم أو فزاد الجنّ الإنس رهقًا بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم.

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

﴿وأنهم﴾ وأنّ الإنس ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ وهو من كلام الجن بقوله: بعضهم لبعض. وقيل: الآيتان من جملة الوحي، والضمير في ﴿وأنهم ظنوا﴾ للجنّ، والخطاب في ظننتم لكفار قريش. اللمس: المس فاستعير للطلب لأنّ الماس طالب متعرّف قال:

مسنا من الآباء شيئًا وكلنا ... إلى نسب في قومه غير واضع

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

يقال: لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه، ونحوه: الجس. وقولهم: جسوه بأعينهم ويجسسوه، والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. والحرس اسم مفرد في معنى الحرّاس كالخدم في معنى الخدّام، ولذلك وصف بشديد، ولو ذهب إلى معناه لقيل: شدادًا ونحوه. أخشى رجيلاً أو ركيبًا غاديًا. لأنّ الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب.

والرصد: مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعي جياعًا يعني: يجد شهابًا راصدًا له ولأجله.

فإن قلتَ: كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين﴾. فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين[1]؟ **قلتُ:** قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله ﷺ وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث. وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم:

والعير يرهقها الخبار وجحشها ... ينقضّ خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر:

وانقض كالدرى يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع:

يرد علينا العير من دون إلفه ... أو الثور كالدرى يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادةً ظاهرةً حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً. وعن معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيت قوله تعالى: ﴿وأنّا كنّا نقعد﴾ فقال: غلظت. وشدّد أمرها حين بعث النبي ﷺ وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار. فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم[2]. وفي قوله: ﴿ملئت﴾ دليل على أنّ الحادث هو الملء والكثرة. وكذلك قوله: ﴿نقعد منها مقاعد﴾. أي: كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليةً من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله ﷺ واستمعوا قراءته.

وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾.

يقولون: لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق، قلنا: ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض ولا يخلو من يكون شرًا أو رشدًا. أي: خيرًا من عذاب أو من رحمة أو من خذلان أو توفيق.

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾.

﴿منا الصالحون﴾ منا الأبرار المتقون ﴿ومنا دون ذلك﴾ ومنا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف. كقوله: وما منا إلا له مقام معلوم، وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه، أو أرادوا الطالحين ﴿كنا طرائق قددًا﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة، أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، أو كنا في طرائق مختلفة. كقوله:

كما عسل الطريق الثعلب

أو كانت طرائقنا طرائق قددًا على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه. والقدّة: من قدّ كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرّق.

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾.

﴿في الأرض﴾ و﴿هربًا﴾ حالان أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا ولن

(1) قال أحمد: ومن عقائدهم أنّ الرشد والضلال جميعاً مرادان لله تعالى بقولهم: ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ ولقد أحسنوا الأدب في ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل، والمراد بالمريد: هو الله عز وجل وإبرازهم لاسمه عند= = إرادة الخير والرشد، فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب من سورة سبأ (الحديث رقم: 3224).

نعجزه هربًا إن طلبنا. والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أنّ الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿لما سمعنا الهدى﴾ هو سماعهم القرآن، وإيمانهم به ﴿فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف أي: فهو غير خائف؛ ولأنّ الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقيل: لا يخف.

فإن قُلْتَ: أي: فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنًى عنه بأن يقال: لا يخف؟ قُلْتُ: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أنّ المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره، وقرأ الأعمش: فلا يخف على النهي ﴿بخسًا ولا رهقًا﴾ أي: جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحدًا حقًا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من أمّنه الناس على أنفسهم وأموالهم»[1]. ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزي الجزاء الأوفى، ولا أن ترهقه ذلة، من قوله عز وجل: ﴿وترهقهم ذلة﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿القاسطون﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل فقال القوم: ما أحسن ما قال؟ حسوا أنه يصفه بالقسط والعدل. فقال الحجاج: يا جهلة أنه سماني ظالمًا مشركًا وتلا لهم قوله تعالى: ﴿أمّا القاسطون﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[2] قد زعم من لا يرى للجن ثوابًا أنّ الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدًا أن قال: فأولئك تحرّوا رشدًا. فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

﴿وألّو استقاموا﴾ أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى: وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي: لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم. وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها، وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه، ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم، لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببًا لا اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازدياهم إثمًا أو لنعذبهم في كفران النعمة. ﴿عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه ﴿يسلكه﴾ وقرئ: بالنون مضمومة ومفتوحة، أي: ندخله ﴿عذابًا﴾ والأصل نسلكه في عذاب كقوله: ما سلككم في سقر، فعدى إلى مفعولين إمّا بحذف الجار واتصال الفعل كقوله: واختار موسى قومه، وإمّا بتضمينه معنى ندخله يقال: سلكه وأسلكه. قال: حتى إذا أسلكوهم في قتائدة، والصعد: مصدر صعد. يقال: صعد صعدًا وصعودًا، فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح[3] يريد: ما شق علي ولا غلبني.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وأنّ المساجد﴾ من جملة الموحى وقيل: معناه ولأن المساجد ﴿لله فلا تدعوا﴾ على أنّ اللام متعلقة بلا تدعوا أي: فلا تدعوا ﴿مع الله أحدًا﴾ في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته. وعن الحسن: يعني الأرض كلها، لأنها جعلت للنبي ﷺ مسجدًا وقيل: المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾[4] وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد. وقيل: المساجد أعضاء السجود السبعة. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة آراب» وهي: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان[5]. وقيل: هي جمع مسجد وهو السجود.

---

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: الجار (الحديث رقم: 510)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (الحديث رقم: 2627).

(2) سورة الأنعام، الآية: 1.

(3) قال الزيلعي، أخرجه أبو عبيد في غريبه: 4/100.

(4) سورة البقرة، الآية: 114.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: أعضاء السجود (الحديث رقم: 891 و889)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الصلاة، باب: ما جاء إني أسجد على سبعة أعضاء (الحديث رقم: 272)، وأخرجه النسائي في كتاب: التطبيق، باب: تفسير ذلك (الحديث رقم: 1093)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: السجود (الحديث رقم: 885).

obeikandi.com

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾.

﴿عبد الله﴾ النبي ﷺ.

فإن قُلْتَ: هلا قيل رسول الله أو النبي! **قُلْتُ:** لأنّ تقديره وأوحي إليّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعًا في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل، أو لأنّ المعنى أنّ عبادة الله ﷺ ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدًا. ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجنّ فاستمعوا لقراءته ﷺ ﴿كادوا يكونون عليه لبدًا﴾ أي: يزدحمون عليه متراكمين تعجبًا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائمًا وراكعًا وساجدًا، وإعجابًا بما تلا من القرآن، لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره، وقيل: معناه لما قام رسولاً يعبد الله وحده مخالفًا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه، كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدًا، جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض، ومنها لبدة الأسد. وقرئ: لبدًا واللبدة في معنى اللبدة، ولبدًا جمع لابد كساجد وسجد، ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر. وعن قتادة: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفؤه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه. ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠﴾.

﴿قال﴾: للمتظاهرين عليه ﴿إنما أدعوا ربي﴾ يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ﴿ولا أشرك به أحدًا﴾ وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي. أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه، إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكًا. أو قال الجن لقومهم: ذلك حكاية عن رسول الله ﷺ.

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١﴾.

﴿ولا رشدًا﴾ ولا نفعًا أو أراد بالضر الغي. ويدل عليه قراءة أبيّ: غيًا ولا رشدًا، والمعنى: لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله[1]، أو لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عزّ وجل.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾.

و﴿إلا بلاغًا﴾ استثناء منه أي: لا أملك إلا بلاغًا من الله. و﴿قل إني لن يجيرني﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه، على معنى أنّ الله إن أراد به سوءًا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذًا يأوي إليه. والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد. وقيل: محيصًا ومعدلاً. وقرئ: قال: لا أملك. أي: قال عبد الله للمشركين أو للجن. ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم. وقيل: بلاغًا بدل من ملتحد[2]. أي: لن أجد من دونه منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به. وقيل: إلا هي أن لا، ومعناه: أن لا أبلغ بلاغًا. كقولك: أن لا قيامًا فقعودًا. ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغًا كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات. والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله، فأقول: قال الله: كذا ناسيًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان.

فإن قُلْتَ: ألا يقال بلغ عنه؟ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني بلغوا عني»[3]. **قُلْتُ:** من ليست بصلة للتبليغ، إنما هي بمنزلة مَن في قوله: ﴿براءة من الله﴾[4] بمعنى بلاغًا كائنًا من الله. وقرئ: فإن له نار جهنم على فجزاؤه أنّ له نار جهنم. كقوله: ﴿فإنّ لله خمسه﴾[5] أي: فحكمه أنّ لله خمسه وقال: ﴿خالدين﴾ حملاً على معنى الجمع في من.

---

(1) قال أحمد: في الآية دليل بيّن على أنّ الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والغي يخلقهما لا غير، فإنّ النبي ﷺ إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده، وفطن الزمخشري لذلك، فأخذ يحمل الحبل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك إلى الله تعالى، وتارة يكنع عنه؛ لأنّ فيه إبطالاً لخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية، فيثور له من تقليده الرأي الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق، وعن اعتقاد أن الله تعالى هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارناً لاختيارهم فيدخل زيادة القسر؛ لأن معنى ما ورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن يخضع لها الرقاب، فيخلق البعد لنفسه عند ظهورها رشداً، فيضاف إلى قدرة الله تعالى لأنه خلق السبب وهو في الحقيقة مخلوق بقدرة العبد هذه قاعدة القدرية، وعقيدتهم، وما الجن بعد هذا إلا أوفر عنهم عقلاً وأسدّ منهم نظراً؛ لأنهم قالوا: = ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته.

(2) قال أحمد: فيكون تقدير الكلام بلاغاً من الله مستفاداً من قوله: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ قال: إن قلت: ما معنا التقسيم والأمد يكون قريباً وبعيداً لقوله: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ وأجاب: بأنه كان ﷺ يستقرب الموعد، وكأنه قال: ما أدري هل هو حال متوقع في كل ساعة أم له غاية مضروبة؟

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (الحديث رقم: 3461).

(4) سورة التوبة، الآية: 1.

(5) سورة الأنفال، الآية: 41.

فإن قُلْتَ: بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له؟ **قُلْتُ:** بقوله: يكونون عليه لبدًا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم.

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة. **﴿فسيعلمون﴾** حينئذٍ أنهم **﴿أضعف ناصرًا وأقل عددًا﴾**، ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده. كأنه قال: لا يزالون على ما هم عليه **﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾** قال المشركون: متى يكون هذا الموعود إنكارًا له؟ فقيل: **﴿قل﴾** إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه.

قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾.

فإنّ الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد، وأما وقته فما أدري متى يكون لأنّ الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله: **﴿أم يجعل له ربي أمدًا﴾**؟ والأمد يكون قريبًا وبعيدًا، ألا ترى إلى قوله تود لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا! **قُلْتُ:** كان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد فكأنه قال: ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية. أي: هو.

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾.

﴿عالم الغيب فلا يظهر﴾ فلا يطلع، و **﴿من رسول﴾** تبيين لمن ارتضى يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوّة خاصةً لا كل مرتضى. وفي هذا إبطال للكرامات لأنّ الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين[1] فليسوا برسل.

إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾.

وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأنّ أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط. **﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾** يدي من ارتضى للرسالة **﴿ومن خلفه رصدًا﴾** حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحى به إليه. وعن الضحاك: ما بعث نبيّ إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك.

لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾.

﴿ليعلم﴾ الله **﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾** يعني: الأنبياء. وحد أولاً على اللفظ في قوله: من بين يديه ومن خلفه، ثم جمع على المعنى كقوله: **﴿فإنّ له نار جهنم خالدين﴾**[2] والمعنى: ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان، وذكر العلم كذكره في قوله تعالى: **﴿حتى نعلم المجاهدين﴾**، وقرئ: ليعلم على البناء للمفعول. **﴿وأحاط بما لديهم﴾** بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفًا فهو مهين عليها حافظ لها. **﴿وأحصى كل شيء عددًا﴾** من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه، وعددًا حال أي: وضبط كل شيء معدودًا محصورًا، أو مصدر في معنى إحصاء، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنيّ صدّق محمدًا ﷺ وكذب به عتق رقبة»[3].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المزمل مكية

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾.

﴿المزمّل﴾ المتزمّل وهو الذي تزمل في ثيابه أي: تلفف بها بإدغام التاء في الزاي. ونحوه: المدثر[4] في المتدثر. وقرئ: المتزمّل على الأصل، والمزّمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو

---

(1) قال أحمد: ادعى عاماً واستدل خاصاً، فإنّ دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية: إبطال اطلاع الوليّ على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق العادة إلا الاطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أنّ الله عز وجل لا يتخذ منهم ولياً أبداً، وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار، ولا يعلمون أنّ شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوبة عنهم اتفاقاً، وأما سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطمع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة؛ لأنه لم يؤتها، والله الموفق.

(2) سورة الجن، الآية: 23.

(3) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم: 4/104.

(4) قال أحمد: أما قوله الأوّل: أنّ نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها، واستشهاده بالأبيات المذكورة فخطأ وسوء أدب، ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشري، فقد قال العلماء: أنه لم يخاطب باسمه نداء، وأنّ ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكراماً له وتشريفاً، فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه، واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذمّاً في جفاة حفاة من الرعاء، فأنا أبرأ إلى الله من ذلك وأربابه ﷺ، ولقد ذكرت بقوله:

أوردها سعد وسعد مشتمل =

obeikandi.com